الدين والثقافة الحاضرة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

شأن الدين : ان نظرة واحدة اجمالية في تاريخ الدين تدل على الدور المعظم الذي مثلته العقائد الدينية على مسرح الحياة الاجتماعية ، ولا ادلّ على المقام الرفيع الذي يتبوأه الدين في قلوب الجماعات — حتى في السنين الاخيرة الطافحة بالشكوك والثورات على انواعها — من هذه الغارة الشعواء التي تشنها الحكومات اللادينية على العقائد الدينية المتأصلة في النفوس لعلها تستطيع ان تزحزحها عن مكانها . ومن اللغو ان يحاول كاتب في التاريخ الحطّ من شأن العامل الديني في التطور الاجتماعي وان يقتصر على العوامل الطبيعية وحدها ، واذا وجد ما يبرّر هذا الموقف في القرن الذي نعيش فيه فلن نجد له مبرراً في القرون الخالية ، لان الدين كما قالت « المعلمة البريطانية » قوة دافعة من اعظم القوى ، فقد الّفت هذه القوة الامم ومزّقتها وجمعت الامبراطوريات وفرّقتها واجازت افظع الاعمال المنكرة واوحشها وانسى العادات واخشها والهمت الخلق أنبل الافعال في البطولة والايثار والاخلاص واحدثت اهول الحروب والثورات والاضطهادات وجلبت للناس الحرية والسعادة والسلام ، وكانت في بعض الايام نصيرة الاستبداد وفي بعضها الآخر محطمة قيود الاستعباد ، وكانت حيناً من الزمن اساساً متيناً لمدنية جديدة لامعة برّاقة ثم كانت للتقدم والعلم والفن خصماً عنيداً وعقبة كؤوداً

البحث العلمي والعقيدة الدينية : انا على اتم وفاق مع « الموجز في الاجتماع » عند قوله :[1] لا دخل للمباحث المتعلقة باصل الدين في المسألة الآتية وهي : هل كان ثمت وحي استطاع بفضله الانسان ان يعرف ربه ؟ فالبحث العلمي الفلسفي عن اصل الشعور الديني هو غير البحث في قولنا هل اظهر الله ارادته للخلق واطلعهم على مشيئته ؟ ويهمنا كثيراً ان نعرف ما هي الاحوال الطبيعية التي احاطت بالانسان الاول حتى زرعت في نفسه الشعور الديني وساقته الى العبادة وسائر الشعائر الدينية وهنالك شبه اجماع على ان الدين ظاهرة اجتماعية تلازم الجمعية البشرية كما تلازمها الظواهر الاخرى حيثما تألف مجتمع من الافراد فمن لوازمه الاولية ظهور الاوضاع الاساسية من نظام وحكومة وادارة واقتصاد وعقيدة دينية

وقد اجاد الاستاذ ماثيوس في قوله[2] ومع كل الفروق البدهية التي تميز اديان الناس بعضها

(1) Outline of Modern Knowledge, p. 49 (2) Outline of Sociology, p. 252

عن بعض ، وما هذه الفروق من قيم مسترعة ، فالدين شيء اكبر من اي دين خاص بعينه ، وهو يضع على بساط البحث قضايا سابقة لكل قضية تنشأ عن التعاليم التي يقول بها اي مذهب من المذاهب

التعصب الديني عقبة في سبيل البحث : ولم تعالج الموضوعات الدينية بالطريقة العلمية المضبوطة الاّ في القرن الماضي لان التعصب الديني كان عثرة في سبيل البحث والاستقراء ، يدلك على ذلك ما كان يفعله العلماء حتى اهل الاخصاء منهم عند تصنيفهم الاديان فكانوا يقسمونها الى اديان صحيحة واديان فاسدة غير مدركين ما يعد اليوم بداهة وهو ان الدين ظاهرة اجتماعية تلازم الجمعية البشرية منذ نشأتها الاولى ، وهم يقصدون بالاديان الصحيحة ما وجدوا عليه آباءهم طبعاً وكل ما خالف ذلك فهو فاسد من عمل الشيطان . (ولمكس مولر) العالم الالماني الانكليزي المشهور فضل عظيم في محاربة مثل هذا التصنيف الضيق كما حارب تصنيفاً آخر يشابهه وهو القول ان الاديان قسمان اديان الهامية سماوية واديان وضعية ارضية(١)

ولم ينظر احد الى الاديان فيما اعلم نظرة رحبة صحة ترى اليد المحجبة وراءها تدير شؤونها وتبعث روحها مثل المتصوّفة في الاسلام فقد وقف بعضهم منها موقفاً يجب ان يكون درساً بليغاً حتى للكثيرين ممن يعتنون بمثل هذه الامور في اوربا واميركا في العصر الحاضر . وليت بعض الحمقاء من المتحمسين الغربيين الذين يستدرون المال من ابناء دينهم « لهداية الوثنيين والمسلمين » او « لنشر النور بين العميان » يفهمون من غربهم فيقرأوا على ضوء الحقائق التي قرّرها علماء (الدين المقارن) ما قاله ابن العربي وقد توفي سنة ٦٣٨ في قصيدته التي طالما استشهدنا بها على سمو الشعور الديني عند العرب وجعلناها عنواناً لا للتعمق فقط بل له وللعقيدة والمبدأ ايضاً ، ذلك ان ابن العربي كان من القائلين بوحدة الاديان ويرى جميع المتدينين يعبدون الاله الواحد المتجلي في صورهم وصور جميع المعبودات والقصيدة هي :

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي ‎ ‎ اذا لم يكن ديني الى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة ‎ ‎ فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف ‎ ‎ والواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب انى توجهت ‎ ‎ ركائبه فالحب ديني وايماني

وابن العربي هذا لا حاجة به الى من يذكرهُ من المتشددين التقيلي الوطأة بأن هنالك في بعض الاديان المنحطة من السخافات والاعمال المنكرة ما لا يجوز ان يتسع لها قلبهُ او يطمئن اليها له ، فهذا كله كان معلوماً عنده الاّ انهُ كان في موقفه المستجد اسمى من ان يفوته المعنى العظيم المتجلي الشامل بانصرافه الى الجزئيات الموضعية الخاصّة . واذا كان الكون في نفسه الحسّاسة الصافية اشبه

(٢) Lectures on the Science of Religion p. p. 123–148

بقطعة شعرية نفيسة منسجمة فمصراع واحد ممزوج او بيت واحد قاصد لايحول دون تعلقه بالقصيدة كلها كاملة واعجابه بالفنان المبدع الذي اجاد نظمها واحكم قوافيها ووزنها

وخذ مثالاً آخر على هذه الروح السمحة الرفيعة ما قاله ابن الفارض الحموي المصري المتوفى سنة ٦٣٢ هجرية في تائيته الكبرى :

وان نار بالقرآن محراب مسجد فما بار بالانجيل هيكل بيعة
وان عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء في الاخبار في الف حجة
فما قصدوا غيري وان كان قصدهم سواي وان لم يظهروا عقد نية
فلا عبث والخلق لم يخلقوا سدًى وان لم تكن افعالهم بالسديدة

ولا اعرف احداً من المتقدمين قارب هذه المعاني — وان لم يبلغ شأوها — سوى الانبياء الهنديين من الهنود فقد صاحوا في زمنهم « ان الناس ليدعونه — « اي ليدعون الله » — اندرا او مترا او فارونا او اغني وانَّ الحكماء ليطلقون عليه الاسماء المتنوعة، اما هو فليس الاَّ واحداً في جوهره »

وسوى (مكسيموس المادوري) لما قال لاغسطين في نحو سنة ٣٩٠ « ان هنالك الهاً واحداً عليًّا ليس له ولد وهو الله القدير ابو الجميع، وان قوى هذه الآلهة التي عمّت الخلائق — يشير الى الآلهة الجديدة التي انتشرت في الامبراطورية الرومانية بدخول المؤمنين بها تحت طاعة الرومانيين — هي ما نتجه اليه بالعبادة تحت اسماء مختلفة بالنظر الى جهلنا اسمهُ الحقيقي ، فيحدث اننا اذ نقترب بعبادتنا ونحن منفردون من بعض اجزاء الوجود الالهي نجد اننا انما نعبد من كانت فيه هذه الاشياء جميعها وحدة كاملة »

ومن خير من عرفنا ممن يتناولون هذا الاتجاه البعيد الغور في الاعصر الحاضرة رئيس اعظم مؤسسة وجدت في الشرق للتبشير حوّلها بسمته للتثقيف وهو المرحوم الدكتور هوورد بلس رئيس الجامعة الاميركية في بيروت. قال لي « لقد بقيت نصرانياً ادين بالمسيحية لا عتقادي انها تحوي مثلاً ٧٥ في المئة من الحق في حين اعتقد ان الاسلامية تحوي ٧٠ في المائة فقط واما انت فقد بقيت مسلماً على مثل هذا الاساس لاعتقادك بهذه النسبة ولكن في مصلحة الاسلام ، وخمسة في السبعين هي اختلاف ضئيل في المقدار لا اختلاف في الجوهر »

وعقد المستر « هربرت سبنسر » في كتابه « درس الاجتماع[1] » فصلاً شيقاً في التعصب الديني وتأثير العقيدة المتوارثة العمياء في احكام الناس . قال ان الساموبين — وهم سكان جزائر « ساموا » في المحيط الهادىء — متصفون باللطف والدعة والكرم الحاتمي والرجال والنساء منهم مطبوعون على حب اولادهم ، وللشيخوخة في نظرهم حرمة ووقار ، ويأبى الواحد منهم ان يدعى خشناً قليل المعروف

(١) The Study of Sociology, 293

وتمتاز نساؤهم بالفضيلة والالفة ، ولا تعرف عندهم جريمة قتل المواليد ، ولاحظ السياح أنهم يعاملون المرضى معاملة انسانية كريمة بجهد طاقتهم

هذه حال الصامويين اجمالاً ، فلننظر ما يقال عن جيرانهم «الفيجيين» اكلة اللحم البشري . فهؤلاء لا يكترثون لحياة الناس ويعيشون في خوف دائم بعضهم من بعض ويحسبون البوق «وهو الضرط» من الشمائل الكريمة ، وليس سفك الدم في نظر الفيجي جناية بل شرفاً ، فهم يقتلون المقعدين والعجزة والمرضى ويخنقون مواليدهم ، ومن بقي منهم حياً فأول درس يتلقنه ان يضرب امه ، ومن خصالهم الحث على الانتقام واثارة الغضب وقتل من كان ادنى منهم مرتبة بمجرد اهماله تأدية السلام على الاصول ، وهم يشدون العبيد بجانب القوائم التي يبنى عليها بيت مليكهم ، ويذبحون عشرة منهم او اكثر على ظهر ركوة زورق جديدة ينزلونها الى الماء تعميداً لها بدمائهم ، ويخنقون نساء الامير وحجابه واماءه عند موته تشريفاً لهم وتكريماً ، وعادة اكل اللحم البشري منتشرة عندهم الى حد ان اميراً من امرائهم رثى ابنه فقال في ختام رثائه انه لا يحجم عن قتل نسائه واكلهن اذا ما اغضبنه » . وهم في بعض الاحيان يشوون فرائسهم البشرية احياء قبل ان يبتلعوهم ، وقطع (طانوا) احد امرائهم ذراع ابن عم له ولعق الدم السائل منه ثم طبخ هذه الذراع واكلها في حضرته وبعد ذلك قام اليه فزقه ارباً ارباً . أما آلهتهم — وقد وصفوا بأوصافهم وطبعوا على غرارهم — فكانوا يرتكبون هذه الاعمال تشبهاً ، لا جرم أنهم يعيشون على ارواح الفرائس التي يفترسها الناس بشيهم هذه الارواح على النار اولاً ، وليست هذه الارواح في الواقع الا « قرائن » الفرائس او نسخة ثانية عنها

ويصف الفيجيون هذه الآلهة بأنها محتالة متكبرة منتقمة تتحارب وتتقاتل ويأكل بعضها بعضاً ، ومن اسماء التمجيد التي يكرم بها الاله الفيجي قولهم « الزاني » و « خاطف المرأة » و « آكل الدماغ » و « القاتل »

تلك صفات الصامويين وهذه صفات الفيجيين فاسمع ما يقول هؤلاء عن اولئك

« يرتعش الفيجيون من ذكر الصامويين لانهم ليس لهم دين يدينون به ولا عقيدة بآله من امثال الآلهة الفيجية يؤمنون به ، وهم لا يعرفون شيئاً من تلك الشعائر الدموية المنتشرة في الجزائر الاخرى ، وفي احد الايام اظهر السائح « جكسون » شيئاً من قلة الاحترام لاحد آلهتهم فغضبوا عليه ولقبوه (الكافر الابيض) »

قال (سبنسر) وكل من قلب هذه الصفحات يرى الدرس البليغ المستخرج منها ، ولا نحتاج الى كبير عناء في تطبيقه على العقائد والمشاعر في الاقوام المتمدنة . ولا شك ان الرجل الفيجي الشرس يرى ان افتراسه فريسة بشرية باسم احد آلهته من اكلة اللحم البشري هو عمل مبرور في حين يرى ان جاره الصاموي الذي لا يقدم قرباناً لهذه الآلهة بل يعدل في معاملته ويحسن الى اخوانه يدل بعمله هذا على ان الدناءة تسير وقلة دينه كتفاً لكتف

اما وقد فسر التيجي الحقائق على هذا المنوال فهو عاجز عن تصور المجتمع الصاموي تصوراً صحيحاً . وهو بما احدثه من الخبط والخلط بين الرذائل والفضائل وفقاً لعقيدته الدينية المستحكمة لا بدّ ان يرى تطير المتولد عن بعض النظم الاجتماعية شراً والشر خيراً

ولا يصعب على الباحث في اي دين من الاديان متى استعرض في ذهنه الحوادث والاشخاص ان يذكر بعض القديسين في تصلبهم الديني الاعتقادي كجلاميد الصخر وفي سيرتهم العملية الاخلاقية لينو العريكة قليلو الاكتراث حتى ليلوح للمتتبع ان ليس ثمت ارتباط وثيق بين العقيدة والاخلاق فكان مجرد الاعتقاد بوجود قوة عجيبة يتقرب اليها المؤمن بالركوع والسجود والادعية توصله الى الجنة الموعودة كما يوصل مجرد اسم (بدوح) على الغلاف الرسالة الى اصحابها

وقد اثرت عقيدة الناس بخطورة الايمان الديني وحده واتمام الشعائر والعبادات في الاصول من غير نظر الى الاعمال تأثيراً بليغاً في جميع الاوساط التي عرفناها ، وكنت اسمع في صغري من هذا القبيل مثلاً لا يزال كثير الشيوع للدلالة على قوة العبادة وحدها وهو «صل الفرض ونم بالعرض» يعني متى اديت عدداً من الركعات في يومك معيناً في الاوقات الخمسة فنم قرير العين هادىء البال

واني لا اعد مثل هذه العقيدة الابتدائية شيئاً مستغرباً في بيئة خامة من بيئات الشرق بل العجيب ان ترسل اوربا واميركا طبقة من خريجي جامعاتها — من اكسفرد وكامبردج وهارفرد وكولومبيا — ليبشروا بالدين فيبثوا اليه بما يحملون من عقائد لا تختلف في جوهرها كثيراً عن عقائد التيجيين ، فعند بعضهم مثلاً ان مجرد الايمان بالثالوث ينجي صاحبهُ وان لا دخل للاعمال في مصائر الناس ، وقرأت في منشور وزعهُ بعضهم على البدو في العراق في سنة ١٩٢٧ قولهم: «ايها الموحدون اياكم ان تتكلوا على صالح الاعمال واحذروا ان تعتقدوا انها تدخل عاملها جنة الرب المتعال . ففتشوا عن الشفيع وابحثوا عن صفاته القدسية ترشدوا وآمنوا بالمخلص من الخطايا تهتدوا وان عسر عليكم فهم شيء فاسألوا الذين يقرأون الكتاب كما امركم بذلك القرآن يا اولي الالباب»

اني لما قرأت هذه العبارة المهينة للعمل الصالح لم اتمالك ان قلت في نفسي ما احوج اصحاب هذا المنشور الى هدي البدو لهم لان اصغر بدوي في العراق يعلم ان دخول الجنة متوقف على العمل الصالح ولو باطعام جائع وايمان خائف . ولو اطلع كاهن بسيط من كهنة البوذية في الشرق على هذا المنشور لحمد لغوتاما بوذا مذهبه « الكرما » الرائع الذي اصبح اساساً للدين وخلاصته ان مصير المرء في التناسخ الازلي متوقف على عمله او كما جاء في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

اما الحملة على العبادات وحدها من غير صلاح يؤيدها فللشرق في ذلك مواقف رائعة قال المعري :

ما الدين صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحاً ونفضك الصدر من غل ومن حسد

وفي صحيح البخاري «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في طعامهِ وشرابه» وتقريع المسيح للفريسيين على تمسكهم بالقشور دون اللباب أشهر من ان يذكر

وحضرت مرة مجلساً للمرحوم عبد القادر بك المؤيد العظم فجاءه رجل يدعي حقاً عليه وأخذ يدلي بحججهِ منها انهُ رجل لا يؤخر الصلاة ولا يترك الصيام فأجابهُ بغضب «الصلاة عادة والصوم جلادة»

وقد بيَّن الاستاذ «هوبكنس» (١) الضرر الشديد الذي قد يصيب الروح الدينية النبيلة من الاقتصار على الشعائر وغيرها من المظاهر الصورية، ولما كان الدين ركناً ركيناً للاخلاق فكل ما يحدث فيهِ ضرراً يتناولها بالضرر ايضاً ويعرضها للخطر. وقد ذكر المؤلف من القصص النادرة في هذا الموضوع انهُ رأى في احد الايام امرأة تصلي في احدى الكنائس اللاتينية وبيدها سبحة لتلاوة الاوراد فركعت بجانبها امرأة غريبة تدل مظاهرها على الثروة والغنى فلاحت من صاحبتنا التفاتة فرأت طرف منديل يخرج من جيب الغنية عرضاً واتفاقاً فاغتنمت هذه الفرصة السانحة ونشلته لانها لم تستطع مقاومة هذه المحنة في نفسها، واعتقد الاستاذ (هوبكنس) انها لم تأت الكنيسة للسرقة بل دلته ملامحها على اخلاصها في عبادتها. وبعدما أتمت سرقتها جددت صلاتها بنشاط وحماسة اشد من قبل كأنها شعرت بالشكر والامتنان على ما اصابته من نجاح. وغني عن البيان ان مثل هذه الصلاة كانت عملاً صورياً من اعمال الشعائر. ويقال ان الرجل من سكان جزيرة صقلية يطعن بالمدية قابضاً عليها باليد الواحدة في حين يقبض على الصليب او الأثر المقدس باليد الاخرى فدينه كما ترى دين الشعائر. وفي شمال الهندستان طائفة (الثوجيين) مؤلفة من اخوان يعبدون الآلهة (كالي) ومن عادتهم الدينية المقدسة انهم يخنقون الفرائس البشرية تقرباً لالهتهم وتعبداً وكانوا يحصلون على معاشهم من الاسلاب التي تأتيهم بهذه الطريقة وقد استمروا في شعائرهم الدموية المقدسة هذه الى ان الغتها الحكومة البريطانية حوالي سنة ١٨٤٠

وفي الحملة النجدية الوهابية التي شنت الغارة على شرق الاردن منذ نحو عشر سنوات هجم بدوي من الغطغط في جملة من هجموا على قرية تدعى «أم العمد» ليجاهد في سبيل الله أعداء الدين من المرتدين الذين يجوزون زيارة القبور وطلب الشفاعة من أصحابها، فرأى امرأة في حجرها ابنها فنادت تستغيث وتطلب الامان ولكن لا أمان للمرتد فذبح الطفل اولاً ثم ذبحها وهو يهلل ويكبر وينشد النشيد المعروف

هبّت هبوب الجنة راعي فين يا باغيها

(١) Origin & Evolution of Religion, p. 270

وكثيراً ما ناقضت بعض الاديان الاخلاق على هذا النمط فلايين « مملينة » ذهبت ضحايا الآلهة وفرائس العبادات. والاغواء كان جزءاً من العقائد الدينية في الهند وهو مع الاسف لا يزال كذلك الى اليوم ؛ وأخرت اديان اخرى الاخلاق بطرق اكثر حذاقة واشد مهارة فان ادعياء خدمة الدين المتصدرين للكلام بلسانه قد تمسكوا بالقواعد الاخلاقية الهرمة البالية وشووا المتهمين بالزندقة على النار في حفلات عامة يخيم عليها التبجيل والوقار وذلك عملاً بالامر الديني الذي يحرم سفك الدماء ! وقاوموا الافكار الحرة بحرقهم الكتب الاخلاقية والفلسفية التي تنافي العقائد الاخلاقية والسياسية الجامدة المقلدة . وتؤيد في يومنا هذا الاباحية وهي الحب الطليق بين الذكر والانثى تأييداً علنيًّا باسم دين له مئات الملايين من الاتباع فقد جاء في كتاب « رقص شيفا » المطبوع في نيويورك سنة ١٩١٨ — وشيفا هذا هو الهٔ الاصلاح في الثالوث الهندوكي — قوله من هذه الاباحية « ان لها معنى روحيًّا عميقاً فهي تمثل الاتحاد الصوفي بين المتناهي واللامتناهي »

وعرفت رجلاً من سلك القضاة الشرعيين في سورية توفي منذ سنوات فكان لا يترك صلاة في الضحى ولا صوماً في عاشوراء ولا مالاً ليتيم في المحكمة الشرعية ! ولم يدر في خلده ابداً ان الصلاة يجب ان تنهى عن الفحشاء والمنكر لتكون صلاة صحيحة

***

تعريف الدين : الدين عقيدة داخلية تدل عليها الطريقة التعبدية الخاصة التي تسلكها الجماعات نحو آلهتها وفقاً لتلك العقيدة . وفي امهات المعاجم العلمية ان الدين هو المظهر الخارجي في الشكل او في العمل الذي يدل الناس بواسطته على اقرارهم بوجود اله واحد او آلهة متعددين لهم سلطة على مصير هؤلاء الناس ولهم واجب الطاعة والعبادة والحرمة اللائقة . او هو شعور داخلي واعراب خارجي عن حب وخوف ورهبة من قوّة مسيطرة خارقة فوق البشر ، ويتم هذا الاعراب بالاقرار بالعقيدة او بالقيام بالشعائر او بالسيرة الشخصية التي يسيرها المرء في حياته

وقد دلّ التتبع الدقيق ولا سيما في الاقوام الابتدائية على ان الدين عقيدةً وعملاً انما هو سعي للاحتفاظ بما ثبتت منفعته اجتماعيًّا . ويضرب العلماء[1] المثل على ذلك بالشعائر التي يقوم بها (التوديون) وهم جيل من الناس الابتدائيين يسكنون في آكام « نلجيري » في جنوب الهند وعددهم قليل مبعثر هنا وهنالك ويؤلف لبن الجاموس والبقر وما يستخرج منهُ من المحصول جلّ طعامهم . اما دينهم فيرتكز على هذا الرزق الذي هو ركن معيشتهم وهو الشيء القيم الثمين الذي يهمهم الاحتفاظ بهِ في الدرجة الاولى . فالواجب ان يكون اللبن غزيراً ونقيًّا لذلك كان جميع متعلقاته من بقر وملابن ولبانين ومحالب « وهي ادوات العمل في الالبان » مقدساً ، وان بعض الملابن

(١) A Student's Philosophy of Religion, p. 19

هي في الواقع معابد يؤمها الناس للعبادة والمبانون القائمون على صداتها هم كهنة

ويتفاوت البقر في قدسيته ، فهنالك البقر العادي يسوسه رجال القرية وصبيانها بالشيء القليل من الاحتفالات ، فيؤخذ اللبن ويمخض أمام كوخ السكن من غير شعائر خاصة تقام له ولا قيود يقيد بها استعماله أو المحصول الناتج منه . على ان الرجال والصبيان يحيون الشمس قبل مباشرتهم البقر وهكذا نرى استخدام الدين للاحتفاظ بهذا الخير الثمين محدوداً . وبخلاف ذلك البقر المقدس والملابن المقدسة فهي تحاط بالشيء الكثير من الرعاية الدينية ، فللعناية بملابن « ألتي » مثلاً وهي أكثر الملابن شعائر ومناسك يقوم الشبان باحتفالات دقيقة محكمة قبل دخول محل عمله المقدس وعليه ان يبقى متبتلاً ما دام في هذا العمل ، وان يعيش في ملبنته منقطعاً عن الناس انقطاع الراهب في الدير

وعلى الكاهن في كثير من الملابن المقدسة ان يتلو صلاة معينة عند ما يشعل مصباحه وذلك قبل مباشرته البقر في الفجر وبعد حلبها ، وقبل سوقها الى المرعى ، وعليه في جميع هذه الملابن ان يتلو الصلاة في المساء قبل الحلب وبعده وعند ما يزرب البقر المبيت ليلاً . وتتألف صلاة « التودين » من جزئين اثنين « الاول » المقدمة وهي عبارة عن سرد اسماء كل اسم منها تسبقه كلمة معناها « لاجل » و(الثاني) الجزء الجوهري . اما المقدمة فهي مقدسة ويجب ان تبقى سرية حتى ان الذين عنوا بتدوين خبر (التودين) لقوا صعاباً جمة في حملهم على ذكرها . وهي في احدى الملابن المعروفة في قرية « كودر » تشمل فيما تشمله الاسماء الآتية وهي اسم القرية والقبيلة والملبنتين الكبيرة والصغيرة والمصباح في الملبنة الاولى ، وزريبتي الجواميس في القرية وحظيرة العجول ، واسم الجواميس على نوعيها المقدسة والاعتيادية واسم الينبوع في القرية المختص بالملبنة واسم الجاموسة التي يزعمون ان لبنها مصدر هذا الينبوع ، واسم التلال الاربع القريبة من القرية ، واسماء بعض الجواميس التي يعتقدون ان الالهة « تيكرزى » اهدتها في بعض الايام للقبيلة ، واسم العجل الذي كان بحسب اساطير القوم وخرافاتهم السلف الصالح لبعض الجواميس الحاضرة

وبعد ان يردد كاهن الملبنة هذه المقدمة همساً بصوت ضعيف لا يكاد يفسره من يقف بجانبه ينتقل الى الجزء الجوهري من صلاته فيتلوه بجلبة وخشخشة قائلاً : « لتكن حال الجواميس حسنة وليبتعد عنها الاذى والهلاك وشر الحيوانات السامة والوحوش البرية واضرار الفيضان والنيران ولكن عندها بحبوحة في الماء والكلأ »

***

افلا تدل مثل هذه الصلاة على انها سعي جدي للاحتفاظ بخير اجتماعي صميم له شأن عند القبيلة من المقام الاول

[البحث صلة]